رأي القدس

ازمة سياسية في العراق

■ وصلت العملية السياسية في العراق الى طريق مسدود بفعل فشل كل الضغوط التي مارستها السيدة كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية وحليفها جاك سترو وزير خارجية بريطانيا من اجل ازاحة الدكتور ابراهيم الجعفري رئيس الوزراء المرشح واستبداله بشخصية اخرى، تقبل بها الاطراف السنية والكردية الممثلة في الجمعية الوطنية (البرلمان).

السيدة رايس ذهبت الى بغداد في زيارة سرية على امل حل عقدة تشكيل الوزارة وانهاء حالة الفراغ السياسي الناجم عن فشل الكتل السياسية في الاتفاق على رئيس وزراء جديد يشكل حكومة «وحدة وطنية» تضم كل الوان الطيف السياسي العراقي، ولكن يبدو ان جهودها منيت بالفشل.

اسباب الفشل عديدة، ابرزها تمسك الدكتور الجعفري بموقعه وعدم استجابته لكل الضغوط التي تريد تنحيته، مضافا الى ذلك دعم التيار الصدري له، وعجز الكتل السياسية الاخرى عن ايجاد البديل الجاهز والمقبول من الغالبية.

السيدة رايس تحدثت عن ضرورة وجود شخصية قوية على رأس الوزارة الجديدة تتولى مسؤولية ضبط الاوضاع في البلاد، والحيلولة دون اتساع نطاق الحرب الاهلية الطائفية. واوحت من خلال لقائها الجاف مع الدكتور الجعفري بعدم رغبتها في تشكيله الحكومة الجديدة.

جاك سترو وزير خارجية بريطانيا الذي رافق رايس في رحلتها الى العراق كان اكثر وضوحا في تصريحاته على غير عادته، عندما برر التدخل الامريكي ـ البريطاني في الشأن الداخلي العراقي بانه تدخل مشروع، لان البلدين خسرا المئات من جنودهما ومئات المليارات من الدولارات من اجل «تحرير» العراق.

وهذه التدخلات الامريكية ـ البريطانية السافرة في الشأن الداخلي العراقي ربما تؤدي الى حدوث انشقاقات في الائتلاف الشيعي الموحد الذي فاز بنصف المقاعد البرلمانية تقريبا في الانتخابات الاخيرة. فالتخلي عن الدكتور الجعفري سيشق هذا الائتلاف حتما، والتمسك به سيؤدي الى النتيجة نفسها، علاوة على استمرار الفراغ السياسي وازمة تشكيل الحكومة.

وحدوث الانشقاق في الائتلاف سيكون اكبر انجاز للسيدة رايس، لانه سيمهد الطريق لعودة الدكتور اياد علاوي مرشحها المفضل لرئاسة الوزارة. وحديثها عن رجل قوي يقود العراق في هذه المرحلة الصعبة كان يشير الى الدكتور علاوي الذي بات مقبولا من الاكراد وبعض الكتل السنية بسبب توجهاته العلمانية وابتعاده عن التقسيمات الطائفية.

فالدكتور الجعفري شكل حكومة طائفية اطلقت يد الميليشيات وقوات الامن التابعة لوزارة الداخلية لتصفية الخصوم، وتشكيل فرق الموت لاغتيال رموز الطوائف الاخرى، بعد التنكيل بها وتعذيبها. فبدلا من ان يحقق الامن والاستقرار للعراقيين، صب المزيد من الزيت على نار الطائفية الملتهبة وتزعم حكومة تمثل مصالح طائفة واحدة وليس كل الطوائف والاعراق الاخرى.

ومن المشكوك فيه ان تؤدي اي حكومة عراقية جديدة، وايا كان رئيسها في تحقيق اي انجاز على الارض، على صعيد الملفات الملتهبة، مثل الانهيار الامني، والبطالة المتفشية، والفساد المستفحل. فالامريكان قالوا ان مجلس الحكم سيحل مشاكل العراق، وعندما فشل في مهمته صوروا للعراقيين ان حكومة الدكتور علاوي ستكون هي المنقذ لهم، وعندما فشلت عادوا وعلقوا كل آمالهم على استفتاء الدستور والانتخابات الاخيرة، وجاءت النتيجة ازمة وزارية وفراغا سياسيا، وحالة من الفوضى.

السيدة رايس قالت ان صبر العراقيين بدأ ينفد، ولا بد من تشكيل حكومة باسرع وقت ممكن. الحقيقة ان صبر الحكومة الامريكية هو الذي وصل الى نقطة النفاد، وكذلك صبر الشعب الامريكي عليها وعلى اكاذيبها.

الجامعة العربية وقضية البحث العلمي:

يقظة متأخرة أم كلام المؤتمر الذي يمحوه النهار؟

د. عبدالوهاب الافندي *

■ كانت لي وعدد من الأكاديميين السودانيين والعرب في مطلع التسعينات حوارات متصلة مع البروفيسور إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي والبحث العلمي السوداني وقتها حول قضيتين كنا نراهما متلازمتين، وهما مساهمة البحث العلمي في النهضة الاقتصادية المرجوة في السودان، ومساهمة الأكاديميين السودانيين والعرب والمسلمين في الخارج في هذا المجهود. وكنت ومن معي من الإخوة نؤكد على الأهمية الكبيرة والدور المحوري الذي يمكن أن يلعبه البحث العلمي في نهضة أي بلد، خاصة بالمقارنة مع أوجه النشاط الاقتصادي الأخرى من زراعة وغيرها. وكنت في تلك الحوارات دائماً أقارن بين ما تصرفه الحكومة على مشاريع زراعية كبرى مقارنة مع العائد من تلك المشاريع، مع المردود الذي يمكن أن تجنيه البلاد من اكتشاف علاج جديد وفاعل للملاريا مثلاً والفرق بين الاثنين هو فرق بين عائد يقدر بعشرات الملايين من الدولارات، وأرباح تحسب بمئات الملايين. هذا بالطبع فوق ما للبحث العلمي من مزايا أخرى في البناء الحضاري للأمم.

الحوار مع البروفيسور إبراهيم أحمد عمر يطيب لأسباب كثيرة، كوننا نعتز بصداقته كما نعتز بأننا من تلاميذه الذين نهلوا على يديه من معين الفلسفة عموماً وفلسفة العلوم على وجه الخصوص. والحديث مع العلماء عن العلم لا يكلف المرء شططاً لأن أستاذنا أبراهيم كان يفهم البحث العلمي مثلما يفهم متطلباته. ولكن حوارنا ذاك لم يخرج رغم ذلك بنتائج ملموسة في الأمور التي كنا نرجو. فهو لم يحقق أضعف الإيمان، وهو إنجاز ترتيبات بسيطة كانت ستسمح بالاستفادة من خبرات الأكاديميين المغتربين في البحث والتدريس، حيث عرض الكثيرون من هؤلاء التطوع للتدريس لفترات قصيرة في الجامعات، ولكنا لم ننجح في إيجاد أطر تسمح بهذا. بل بالعكس، إن بعض من كان يساهم معنا في هذا الجهد من الأكاديميين السودانيين انضموا بدورهم لموكب المهاجرين إلى الخارج يأساً من صلاح الأمور.

الحكومة كانت تواجه وقتها ضغوطاً سياسية لتوسيع التعليم العالي لاستيعاب الآلاف من الطلاب الذين كانت تضيق بهم الجامعات وتضيق ذات يد أولياء أمورهم عن مساعدتهم لطلب العلم خارج البلاد. وكانت استجابة الحكومة لهذه الضغوط ـ أسوة بما حدث في معظم البلدان العربية الأخرى ـ بالتوسع السريع في إنشاء الجامعات، التي تصبح بدورها أشبه بمدارس ثانوية متطورة تتكدس فيها أعداد كبيرة من الطلاب يتزاحمون على محاضرين قلائل يعانون بدورهم من ضعف التأهيل وقلة الموارد وعدم توفر الوقت للبحث العلمي الذي بدوره يفقد الأستاذ الجامعي تميزه. من جانب آخر كانت الحكومة تواجه ضغوط الإنفاق العسكري والمشاكل الاقتصادية الأخرى التي تمنعها من توفير موارد معقولة للبحث والتعليم. وقد اختارت، لأسباب غير مستغربة، أن تعطي الأولوية للإنفاق الأمني والعسكري، حتى في مجالات التصنيع والبحث والتطوير العلمي. وقد تحققت في هذه المجالات إنجازات لا بأس بها، وإن كانت دون الطموح بكثير.

بعد أكثر من عقد من الزمان على حواراتنا تلك صدر تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول لعام 2002 ليؤكد على النقطة التي كانت محور اهتمامنا، وهي أن التخلف الذي يعانيه الوطن العربي يتجسد أكثر ما يتجسد في المجال العلمي. وبحسب التقرير فإن هذا التخلف يتجسد في كل الجوانب المتعلقة بالمعرفة، بدءاً من التعليم الأولي، مروراً بالتعليم العالي فالبحث العلمي فالعلوم التطبيقية فالتصنيع فالمعلوماتية، ولا يوفر مجالات مثل الترجمة والعلوم الإنسانية والآداب والفنون. وقد دعا التقرير إلى تدارك هذا الخلل المريع في زمان انطلق فيه البحث العلمي في البلدان المتطورة وأصبحت المسافة بين تخلفنا وتقدمهم فيها تقاس بالسنوات الضوئية، وأصبح حال العرب يثير الشفقة في هذا الخصوص.

رد الفعل الرسمي حيال تقرير التنمية الإنسانية كان في حد ذاته تعبيراً عن عمق الأزمة العربية. فلأن التقرير طالب أيضاً بتوسيع الحريات وإصلاح حال العرب السياسي وتمكين المرأة، شنت عليه بعض الأوساط الرسمية حملة شعواء، متهمة إياه بأنه مؤامرة أجنبية على العرب. بل إن معظم الدول العربية منعت توزيعه في أراضيها، مؤكدة في ذلك صدق ما ذهب إليه في نقده للممارسات التي تضيق على العلم والعلماء وتحجب العلم والمعرفة.

من جهة أخرى قامت حكومات وجهات رسمية بتبني بعض مقولات التقرير على طريقة كلمة الحق التي يراد بها الباطل. فقد اجتزأ البعض منه مقولاته حول حقوق المرأة، وسارع إلى اتخاذ خطوات رمزية مثل تعيين إمرأة أو اثنتين في مناصب عليا، أو التركيز على الحقوق الاجتماعية للمرأة مقابل تعريض المرأة والرجل معاً للقهر السياسي. وأكد هؤلاء أن الاستبداد ضروري لحماية المرأة من المجتمع الأبوي، وطالبوا في مناجاتهم مع أصدقائهم الغربيين بإعفائهم من الضغوط لتطبيق الديمقراطية لأن الأولوية هي لإنصاف المرأة المظلومة. وفي نفس السياق اتخذ البعض ما جاء في التقرير من إلقاء الضوء على ارتفاع نسبة الأمية وضعف التعليم في المجتمعات العربية وتردي الأوضاع الاقتصادية وارتفاع نسب البطالة إلى ذريعة للقول بأن العرب أميون متخلفون لا تصلح لهم الديمقراطية، بدءاً من الأولوية يجب أن تعطى لرفع مستوى التعليم وخلق الوظائف. وهذا هو الحل الوسط الذي قبلت به قمة الثمانية الشهيرة في سي آيلاند في جورجيا في عام 2004، حين حولت مبادرة الرئيس الأمريكي جورج بوش لنشر الديمقراطية في المنطقة إلى مبادرة لمحو الأمية وتقديم القروض الميسرة لأرباب الأعمال الصغيرة وإقامة دورات تدريب الناشطات النسويات وغير ذلك. بمعنى آخر أصبح العرب رسمياً تحت الوصاية الدولية ورهن فصول محو الأمية حتى تزول أميتهم ويصبحوا مؤهلين للديمقراطية.

من هذا المنطلق فقد كان لافتاً أن يشتمل خطاب الرئيس عمر حسن البشير الرئاسي للقمة العربية الأسبوع الماضي على فقرات تؤيد استنتاجات ومنهج تقرير التنمية الإنسانية العربية، وتنتقد التقصير العربي الجماعي في مجال البحث العلمي، مؤيداً مقولته بإحصائيات موثقة تكشف فداحة التخلف العربي في هذا المجال. فهل نعتبر هذا إشارة إلى تحول في الموقف الحكومي السوداني أولاً؟ وهل سيتبع بقية الزعماء العرب هذه النصيحة الغالية ويلتفتون إلى البحث العلمي بعد طول إعراض؟

فيما يتعلق بالنقطة الأولى فإنني أعتقد أن هناك تغيراً، وأكاد أجد هنا لمسات وزير التعليم العالي الجديد الدكتور بيتر نيوت كوك، وهو أستاذ قانون سابق كان قبل أن ترشحه الحركة الشعبية لهذه الوزارة باحثاً في معهد ماكس بلانك الشهير في ألمانيا. وهذا أمر مشجع من جهة، ومؤسف من جهة أخرى. هو مؤسف لأن فرصاً كثيرة أضيعت ووقتاً ثميناً أهدر قبل أن يلتفت الناس إلى هذه البديهية. ومؤسف أيضاً لأننا كنا نتمنى أن يحوز أستاذنا إبراهيم شرف قيادة هذا التحول. ولكنه مشجع لأن الالتفات حدث وإن جاء متأخراً، ولأننا نثق في جدية الوزير الجديد الذي يفهم على ما يبدو ما يجب عمله. وهذا لا يعني بالضرورة أن فرص نجاحه أكبر من سابقيه، لأن النجاح يعتمد على تعاون آخرين، وعلى تمويل مؤكد، ومؤسسات علمية رصينة وقادرة.

أما في الإجابة على السؤال الثاني، فلعلها معروفة من الاستجابة التي وجدها تقرير التنمية الإنسانية وكل دعوة جادة أخرى في هذا الخصوص. وتكاد قطر تكون الدولة العربية الوحيدة التي اتخذت قراراً استراتيجياً بإعطاء التعليم أولوية عليا، ولكن التحرك القطري اقتصر حتى الآن، حسب علمي، على مجال التدريس وما زال البحث العلمي لم يحظ بما يستحقه من اهتمام، وإن كانت هناك مبادرات مهمة في طريقها إلى حيز التنفيذ في هذا المجال.

وهذا بدوره يثير سؤالاً مهماً، وهو لماذا هذا الإعراض عن مطلب أساسي وبسيط في نفس الوقت، قد يكون مكلفاً بعض الشيء، ولكنه يعود بمردود كبير على المدى الطويل؟ أليس من العقل أن تقوم الحكومات العربية بالاستثمار في البحث العلمي وتشجيع القطاع الخاص في نفس الاتجاه، خاصة في ظل ما اضطر في الآونة الأخيرة من تخصيص لكل المجالات وتحويل مؤسسات الدولة، بما فيها الكثير من المنشآت التعليمية، إلى القطاع الخاص؟ هل يحتاج مثل هذا الأمر إلى عبقرية أينشتاين حتى يتم اكتشافه وقد ظهرت فوائده ومزاياه في كل بقعة من بقاع الأرض من أوروبا إلى الهند وسنغافورة واليابان وكوريا وغيرها؟

بعض من الإجابة تكمن في صيغة السؤال التي بدأنا بها، وخاصة عبارة «المدى الطويل». فالأنظمة العربية هي في الأغلب قصيرة النظر والنفس، لا تفكر في أبعد من المدى القصير جداً، ولا ترى فائدة في إضاعة الأموال فيما تعتبره ترفاً لا يرجى كثير خير من ورائه. وهناك سبب آخر، وهو أن كثيرا من الدول العربية ذات الموارد لا تملك كوادر بحثية مؤهلة بسبب حداثة جامعاتها من جهة، وبسبب قلة السكان وقلة الطلاب المؤهلين. وهي تستكثر أن تأتي بباحثين من الخارج تنفق عليهم الأموال الطائلة دون التأكد من عائد سريع وملموس.

هناك نقطة أخرى لا تقل أهمية يمكن أيضاً استشفافها من مقارنة وردت في خطاب البشير، حيث أشار إلى أن أكبر الدول العربية إنفاقاً في مجال البحث العلمي لم تبلغ إنفاق جامعة أمريكية واحدة، هي جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهنا لا بد أن نذكر بأن بيركلي لم تكن جامعة متفوقة ومتميزة فقط، بل كانت أيضاً مهد واحدة من أبرز الانتفاضات السياسية في الولايات المتحدة إبان حرب فيتنام. وحين يزور المرء جامعات أمريكية مرموقة مثل بيركلي وهارفارد ويل (وقد سعدت بزيارة كل منها والمحاضرة فيها أكثر من مرة) تستوقفه أول ما تستوقفه الحيوية الثقافية والفكرية المتمثلة في النشاط الطلابي والفكري المتواصل خارج قاعات الدراسة، سواء أكان في مجالات النشاط السياسي والاجتماعي أو الثقافي. ففي كل من هذه الجامعات فإن البحث العلمي هو جزء من توجه ثقافي عام، يعتمد المبادرة والجرأة وتعتبر الحرية من أهم أعمدته.

هناك أيضاً ثقافة اجتماعية سائدة تتعلق بالعطاء والبذل من القطاع الخاص من أجل البحث العلمي بدون انتظار مقابل سوى الذكر الحسن. فهناك مؤسسات وقفية مثل مؤسسات فورد روكفلر ماكارثر وكارنيجي وغيرها أسستها كبار العائلات الموسرة، ويبلغ رأسمالها مليارات الدولارات (8 مليارات لفورد، 3 مليارات لماكارثر، وقس على ذلك)، وهي ترصد سنوياً مئات الملايين لدعم البحث العلمي في كل مجال يمكن تصوره.

الإشكال عندنا ليس هو إذن فقط غياب روح العطاء والنفس الطويل، بل غياب مناخ الحرية اللازم لانطلاقة حقيقية للنشاط الخلاق في كل مجال، وخاصة مجال الإبداع العلمي. وعليه لا عجب أن يضمر الإبداع ويذوي في المناخ السائد حالياً.

* كاتب وباحث سوداني مقيم في لندن

الجعفري وزلماي زاد.. من يطرد من؟

هارون محمد *

■ في اجتماع في القصر المخصص لجلال طالباني في حي الجادرية، الملحق بالمنطقة الخضراء في بغداد، الاربعاء الماضي، شارك فيه ممثلو الكتل والاحزاب إضافة الى السفير الامريكي زلماي خليل زاد، الذي ما ان جلس في مكانه وانهى رد السلام والتحيات التي انهالت عليه من المجتمعين حتى تطلع نحو طالباني وابتسامة صفراء زرقاء بدت على وجهه وقال له بعربية تطغى عليها اللهجة اللبنانية التي تعلمها خلال سنوات دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت اوائل السبعينات، مام جلال.. شو سمعت آخر نكتة (فريش) في العراق؟

وفوجئ طالباني واعتقد انه المستهدف بالنكتة بعد ان تزايدت عليه النكات وصارت أحاديث الناس يتداولونها بكثرة عنه، حتى انه شخصياً اعترف بها في لقاء تلفزيوني وردد واحدة منها، وقال لزلماي ضاحكاً سعادة السفير اذا كانت علي او على الكرد.. ارجوك قلها بيني وبينك حتى لا يستثمرها الاخرون غامزاً من الحاضرين من مندوبي الائتلاف الشيعي والتوافق والحوار الوطني الذين كانوا في صالة الاجتماع.. فرد زلماي: لا لا.. انها لا تعنيك، بل سمعتها في نشرات الاخبار وتناقلتها بعض وسائل الاعلام والتلفزة خلال الايام القليلة الماضية التي اعقبت حادثة مبنى (المصطفى) هكذا لفظها وليس حسينية، تقول النكتة ان بعض قادة الائتلاف من حزب الدعوة وجماعة الصدر (لم يورد اسم المجلس الاعلى) طلبوا من ابراهيم الجعفري باعتباره رئيس الحكومة ان يطردني من العراق!

وساد صمت في صالة الاجتماع قطعه احد مساعدي زلماي المستشار روبرت فورد وهو يتحدث بعربية متكسرة الحروف والمخارج، يبدو ان (الاكوان) ويعني الاخوان لم يفهموا النكتة، بدليل انهم لم يضحكوا رغم انها (تموت) من الضحك!

عندها استفاق الحاضرون من لامبالاتهم وفهموا مغزى النكتة وما تحمله من معنى، فارتسمت ابتسامات شامتة على وجوه جلال وجماعته واخرى هازئة على وجوه التوافقيين وحلفائهم، في الوقت الذي طأطأ اعضاء وفد الائتلاف الشيعي رؤوسهم، وكان من بينهم همام حمودي وحسين شهرستاني وجواد مالكي وغيرهم، وهم في أشد حالات الجزع.

ولم يكتف زلماي بسخريته من الائتلافيين بل مضى في كلامه التهكمي وتحول الى اكثر حدة عندما قال: نحن اصحاب فضل عليكم جميعكم باستثناء جماعة التوافق والحوار الوطني، هذه حقيقة يعرفها الجميع ولا يستطيع احد منكم ان يهرب منها وبالتالي من يحاول التطاول علينا او المساس بنا بكلام سخيف سنضربه على فمه (ملوحاً بقبضة يده) وسنضطر الى تأديبه، ونطرده الى حيث كان يقيم ويعيش قبل ان يأتي الى العراق.

وتدخل جلال طالباني محاولاً التخفيف من وطأة التوتر الذي خيم على الاجتماع وقال: يا عزيزي زلماي نحن (ممنونين) منكم ولكم، فانتم اكثر من اصدقاء لنا، خصوصاً نحن الكرد واخواننا الشيعة، لقد اخطأ بعض الاخوان بحقكم فعلاً (مشيراً الى جماعة الائتلاف) واطلقوا تصريحات غير مسؤولة ضدكم، وهم على استعداد للاعتذار من سعادتكم، فقاطعه السفير الامريكي لا اريد اعتذاراً ولكني سأعرف كيف أرد عليهم مستقبلاً اذا كرروا فعلتهم مرة اخرى، واعيدهم الى صوابهم وأعرفهم من يستطيع طرد الاخر من العراق، نحن الذين جئنا بهم وفتحنا لهم ابواب الدخول والعمل والحرية والمناصب، ووفرنا لهم حمايتنا التي لو رفعناها عنهم الان لن يبقى واحد منهم ساعة في العراق، فليحترموا انفسهم وإلا.. ثم التفت الى طالباني وقال له انا خارج من الاجتماع لالتزام خاص بي، ويبقى المستر فورد معكم واصلوا اجتماعاتكم.

هل يحتاج كلام السفير زاد الى تعليق؟ أبداً، فهو في هذه الناحية صادق تماماً ولا يقدر احد على مجادلته والنقاش معه، ثم ان وهذه حقيقة اخرى، السفراء الامريكيين ابتداء من الجنرال جي غارنر مروراً ببول بريمر وكروبونتي وانتهاء بزلماي خليل زاد، هم أصحاب القرار حتى هذه اللحظة، لذلك نراهم يتصرفون ككحام وليس كسفراء او دبلوماسيين، ونقل لي زميلنا حسن العلوي انه رافق الصحافي والاذاعي الامريكي بوب برايلي مدير اذاعة (صوت امريكا) الاسبق من الكويت الى بغداد بعد تعيين بريمر حاكماً مدنياً للعراق بثلاثة ايام، وعندما توجه الاثنان الى القصر الجمهوري مقر بريمر لاحظ العلوي ان عشرات من قادة الاحزاب والجماعات السياسية يقفون في المدخل المؤدي الى مكتب بريمر وهم يتصببون عرقاً من شدة الحر لان التيار الكهربائي كان مقطوعاً عن القصر ويقول انه سأل بعضهم، ماذا تفعلون.. ولماذا انتم تقفون هنا؟ رد واحد منهم بهمس، سيخرج المستر بريمر من مكتبه، وفهم الصحافي الامريكي ابعاد هذا الموقف المتخاذل وقال للعلوي مشيراً الى الواقفين في الطابور والمتأهبين لاداء التحية على بريمر عند خروجه الميمون ومروره أمامهم، هؤلاء سيحكمون العراق مبروك عليكم.. دعنا نغادر المكان. ويضيف العلوي، انه ابلغ برايلي وهما يخرجان من باحة القصر، لقد جئت الى هذ المكان عشرات المرات في السابق عندما كان المرحوم احمد حسن البكر رئيساً للجمهورية فلم اجد مرة واحدة هذه الاستعداد العالي والحذر المبالغ فيه من قبل حاشية القصر من موظفين ومرافقين وجنود حراسة، وضحك برايلي وتمتم بكلمات فهم العلوي منها، ان بريمر سيىء ولكن من يحتفي به بهذه الطريقة أسوأ منه.

وما دمنا في حديث السفراء والقصر الجمهوري، لا بد من ايراد حكاية ذلك السفير الايراني واسمه ميرزا زادة ـ لاحظوا اسمه ـ الذي جاء الى بغداد مطلع عام 1964 سفيراً للشاه، وحدد له موعد لتقديم اوراق اعتماده الى الرئيس عبدالسلام عارف، وذهب الى القصر حيث كان الرئيس في استقباله وعلى يمينه السيد صبحي عبدالحميد وزير الخارجية يومذاك والمرحوم عبدالجبار الهداوي مدير المراسم والتشريفات في القصر عهذاك، وعندما بدأ السفير يتلو كتاب اعتماده والمترجم يردد وراءه لاحظ الرئيس ووزير خارجيته ان السفير انهى قراءة كتاب الاعتماد واغلقه وراح يرتجل بعض العبارات ومنها ان بلاده تعتبر البحرين جزءا منها وان تسمية الخليج الفارسي يجب ان تسود في المخاطبات الرسمية بين الدول العربية وايران، فانتفض المرحوم عبدالسلام وتوجه بنظره نحو المترجم وقال له ترجم بالحرف ما سأقوله لهذا العجمي (أسمع يا زاده.. لا انت ولا شاهك الجاسوس الوضيع يسلب البحرين عروبتها، وسيبقى الخليج عربياً غصباً عليكم وعلى من يحميكم، ووالله لولا مكارم الاخلاق والضيافة التي نعتز بها، ولولا انك اجنبي لما جعلتك تخرج من هذا المكان على رجليك. وصعق السفير وتخاذل وكاد ان يغمى عليه من شدة الخوف وهو يسمع كلام الرئيس الشجاع، وارتبك وبدأ يتوسل بانه لا يقصد الاساءة، ولكن الرئيس عبدالسلام حسم امره وقال له لن تبقى في العراق ليلة واحدة وابلغ هذا الذي يسمونه الشاه والله سيقطع العرب في العراق وغير العراق يده اذا اعتدى على البحرين او الخليج.

وتمعنوا مليا في الموقف البطولي للرئيس عبدالسلام عارف وهو يطرد سفير دولة كان امبراطورها البهلوي معتمداً أول لامريكا في المنطقة، وبين موقف ممن يسمون قادة ورؤساء ووزراء وزعماء يفرض عليهم زلماي رأيه، وهم صاغرون وقابلون وموافقون.

الحكاية الثانية ننقلها عن صحافيين امريكيين رافقوا الوزيرة كوندوليزا رايس في زيارتها الاخيرة لبغداد، فوجئوا يسمعونها تقول لعضو المكتب السياسي للمجلس الاعلى للثورة الأسلامية عادل عبدالمهدي وهو يسلم عليها ويرحب بها (أن رؤيتك أمر يبعث على السرور)!

وبالتأكيد فان الوزيرة السمراء لم تستفزها سمات عادل الجمالية، فلماذا هذه اللفتة المتميزة؟ انها ببساطة رسالة موجهة الى غريم عبدالمهدي ومنافسه الشيعي على رئاسة الحكومة ابراهيم الجعفري، وكأنها تقول له.. ولا يهمك خسارتك امام الجعفري نحن معك. واستناداً الى انباء ومعلومات رشحت عن اللقاءات التي اجرتها رايس ونظيرها البريطاني سترو مع الاطراف والكتل السياسية في العراق، فان واشنطن ولندن ابلغتا المعنيين بمن فيهم الجعفري نفسه بان الادارة الامريكية والحكومة البريطانية ارتكبتا اخطاء كثيرة في العراق خلال السنوات الثلاث الماضية، اعترفت بها الوزيرة الامريكية خلال زيارتها لبريطانيا في الاسبوع الماضي دون الخوض في تفاصيلها، ولكن بعض هذه التفاصيل قالتها كوندوليزا خلال اجتماعاتها في بغداد، ومنها انها ابلغت ممثلي السنة العرب ـ هكذا قدموا لها ـ خلال لقائهم بها ان الرئيس الامريكي واركان الادارة في واشنطن يقرون باخطائهم التي وقعت في العراق خلال المرحلة السابقة، وسمعتم اعترافاتي بذلك، ورد عليها احد الحاضرين ولكن ما نفع الاعتراف ما دامت الاخطاء ذاتها قائمة، فحاولت الوزيرة كعادة المسؤولين الامريكان التهرب من السؤال وقالت: لنترك الماضي خلفنا ونبدأ من جديد، لقد تعلمنا دروساً وتجارب هائلة خلال السنوات الثلاث المنصرمة، وتحدثت عن رؤية جديدة فيها الكثير من التفاصيل على حد قولها، لم يفصح عنها المجتمعون معها لاعتبارات قالوا انها حساسة وتمس بعض الاطراف الشيعية تحديداً ولا يريدون ان يكونوا طرفاً فيها.

ولكن الشيء الذي بات معروفاً ان كوندوليزا رايس وسترو حددا ثلاثة ايام تنتهي يوم الخميس المقبل مهلة للجعفري اما ان يقنع المختلفين معه وتعقد الجمعية الوطنية اجتماعاً لها في الاسبوع القادم لانتخاب هيئتي رئاستي الجمهورية والجمعية تمهيداً لتكليفه بتشكيل الحكومة الجديدة، او ينسحب الجعفري ويترك للائتلاف حرية ترشيح شخص آخر.

وواضح ان هذه المهلة ستجعل الجعفري بين أمرين احلاهما مر بالنسبة له، فاما ان يتنازل للتحالف الكردي والتوافق السنية ويخضع لهما، وهذا ما يجعله هدفاً لقذائف من اطراف في الائتلاف، ستتهمه بالتخلي عن (مظلومية) الشيعة المزعومة والانخراط في معسكر اعدائهم كما يسمون، او يتنازل لمنافسيه في الائتلاف وخصوصاً للمجلس الاعلى والفضيلة والمستقلين، وبذلك يواجه خسارتين، الاولى في الجمعية الوطنية حيث لن ينجح في تمرير حكومته ولن يقدر على جمع 140 نائباً لتزكيتها وسط اعتراضات التحالف الكردي وجبهتي التوافق والحوار والوطني، والخسارة الثانية ان التيار الصدري سيتخلى عنه اذا وجده يغازل عبدالعزيز وشهرستاني وجماعة الفضيلة، وهذا التيار كما اثبتت الاحداث يدفع بالجعفري الى الصدام مع منافسيه في الائتلاف ومعارضيه في التحالف الكردي والتوافق. وعلى هذا الاساس فان الايام القليلة المقبلة ستحمل احداثاً باتت معروفة مسبقاً، وستظهر نتائج زيارة رايس وسترو لبغداد وما رسماه مع المستر زلماي هناك.

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

لو كان عميلا لاصبح زعيما

د. محمد صالح المسفر

■ طابور العملاء وجواسيس الدول الكبرى المبثوثين في ارجاء الوطن العربي يتكاثرون لجمع معلومات وتزوير وبث اشاعات بهدف النيل من سمعة قيادات سياسية وطنية او الحاق اذى بأمن الاوطان لصالح دول الاستكبار الغربية والامريكية.

نموذج هذا الجيش السري من العملاء والجواسيس هم اولئك الذين كانوا في معية جحافل الغزو الامريكي البريطاني للعراق الشقيق في شهر اذار (مارس) من عام 2003 والذين نصبتهم قوات الاحتلال بالتناوب على ادارة العراق بصفة شهرية ثم ربع سنوية لنهب ثروات ومكتنزات شعب العراق الصامد في وجه عاديات الزمان وذلك مكافأة لعمالتهم وخيانتهم لعراقنا العربي الصامد في وجه الطغاة، وكذلك سرقة ذاكرته التاريخية من متاحف بغداد لبيعها في اسواق لصوص التاريخ. هؤلاء الذين تاجروا بأمن واستقلال وسيادة العراق ليسوا جديرين بحق المواطنة.

اعود الى كهنة الاستخبارات الامريكية في العراق، واقول لقد استخدموا كل ملفاتهم الدعائية الكاذبة، من قبور جماعية الى المظلمة التاريخية، الى الدجيل وحلبجة، وكوبونات صدام، وراحوا بعد ان بارت تجارتهم وانتهت مادتهم الاعلامية وتغطية على جرائم فيالق الموت والابادة الجماعية على الهوية التي تمارسها ميليشيات خونة الاوطان وجندرمة صولاغ وجنده، راحوا يتطاولون على رجال من اهل العراق وقيادته الشرعية.

خرجت علينا محطة N.B.C الفضائية العربية اللسان الامريكية التوجه «بان وزير خارجية العراق الشرعي الدكتور ناجي صبري الحديثي كان مصدرا سريا مأجورا للمخابرات الامريكية، وادعت انه قدم تفاصيل عن اسلحة الدمار الشامل لصدام تبين انها اكثر دقة من تقديرات المخابرات الامريكية CIA عبر وسيط فرنسي مقابل 100 الف دولار» هذا الخبر الذي سربه مخبر حاقد رخيص الى هذه المحطة لا يحتاج الى تحليل.

ان الامانة العلمية والمهنية تقتضي التوقف عند بعض الملاحظات:

اولا الدكتور ناجي صبري الحديثي هو وزير خارجية العراق من الناحية القانونية والسيادية وحتى هذه الساعة، من واجباته الوظيفية الالتقاء بكل الوفود الرسمية وغير الرسمية ومكانته لا تجعله محققا في هويات من يلتقي بهم لشرح موقف بلاده من الازمة التي تحيط بوطنه، فهو تعامل مع وزراء خارجية دول عربية واجنبية وقدم معلومات دقيقة بان بلاده لا تملك اي سلاح نووي ولا سلاح دمار شامل مثل اليورانيوم المنضب، وهذه المعلومات ليست سرا فقد قال بها رأس النظام الشرعي للعراق ـ رغم اعتقاله كأسير حرب ـ الرئيس صدام حسين عندما قال ان العراق لا يملك اي اسلحة دمار.

الدكتور الوزير ناجي صبري التقى بموجب تكليف من قيادته السياسية في بغداد، بمعظم اعضاء المنظمة الدولية للطاقة النووية في فيينا وكذلك التقى باعضاء مجلس الامن وقدم المعلومات التي طلبت قياداته السياسية تقديمها الى كل الاطراف بل قدمت القيادة السياسية ملفات تحتوي على الاف الصفحات الى مجلس الامن الدولي، ان تقارير CIA المخابرات الامريكية عن تسلح العراق كانت تقارير كاذبة ومصادرها عملاء مأجورين عراقيين اصبحوا في سدة حكم العراق بعد الاحتلال والفترات قصيرة، الوزير الشرعي الدكتور ناجي صبري الحديثي كان نموذجا للدبلوماسية العراقية في تعامله مع قضية بلاده في المحافل الدولية، انه ذو خلق رفيع، وصاحب تجربة عملية في هذا المجال، الى جانبه في مجال دحض الاكاذيب عن امتلاك العراق سلاح الدمار الشامل، كان يقف العالم المجرب الفريق عامر السعدي الذي لم يخن بلاده ولم يتنكر لشعب العراق رغم كل الاغراءات والتهديدات لقد كان شريفا وطنيا يحب العراق كله ويرفض التبعية.

اضافة الى هذا، الوزير ناجي صبري الحديثي اعدم احد اخوانه من قبل النظام الاسير، وهمش ناجي صبري من قبل النظام لفترة من الزمان، لكن لما اشتدت الازمة على وطنه تقدم بكل كبرياء الرجال طالبا من النظام اعطاءه دورا للدفاع عن الوطن، لم يكن حقودا على بلده ونظام حكمه لم يكن ثأريا، كانت مصلحة العراق فوق مصالحه الذاتية وفوق كل الجراح.

لو كان الوزير صبري عميلا للمخابرات الامريكية او لغيرها لاصبح زعيما في ظل الاحتلال الامريكي للعراق، لو كان عميلا لكان له قصور وناطحات سحاب في دبي وعمارات ودكاكين في لندن وباريس وروما ونيويورك وعمان، لانه وطني نزيه نظيف اليد عف اللسان فانه يعيش اليوم بجهده بعمله استاذا في احدى الجامعات العربية الخليجية.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد